ألف حكاية وحكاية (٦٨)

ميزان العدل

وحكايات أخرى

يرويها

يعقوب الشارونى



رسوم

عبد الرحمن بكر

مكتبة مصر

رقم الإيداع ٢٢١٣ / ٩٩

ميزان العدل

أسرعْتُ يومًا إلى المنزلِ شاكيًا من حسام زميلي في الملعبِ ، فأخرجَتْ أمي ميزانًا قديمًا ، وقِطعَ المكعباتِ الخشبيةِ التي ألعبُ بها، وقالَتْ:

"سنلعبُ لعبةً جميلةً: سنضعُ قطعةً من المكعباتِ الخشبيةِ في هذه الكفَّةِ من الميزانِ تُمثِّلُ عيبًا من عيوبِ حسام ، وعليكَ الآنَ أنْ تُعدِّدَ هذه العيوبَ."

فأخذْتُ أذكرُ لأمِّي عيوبَ حسام ، وكلما ذكرْتُ عيبًا ، وضعَتْ أمي مكعبًا في كفَّةِ الميزانِ.

ثم قالَتْ أمِّي: "والآنَ ، اذكرْ لي مزايا حسامٍ . ولكلِّ ميزةٍ نضعُ في كفَّةِ الميزانِ الأخرى مكعبًا."

وبدأَتْ أمي تُساعدُني على تذكُّرِ مزايا حسام ، فقلْتُ:

"هو يسمحُ لي أنْ أركبَ دراجتَهُ ، ويقتسمُ معي قطعَ الحلوى التي تكونُ معه."

وأخذْتُ أعدِّدُ مزايا حسام ، وأمِّي تضعُ في الكفةِ مكعبًا مقابلَ كُلِّ مزيةٍ.

وأخيرًا ، وجدْتُ نفسي أضحكُ ، فقد أصبحَتْ كفةُ مزايا حسام أثقلَ كثيرًا من كفَّةِ عيوبهِ!

ظلَّتْ حادثةُ الميزانِ هذه في ذاكرتي لا أنساها، حتى أصبحْتُ لا أنتقدُ أحدًا إلاَّ وأتذكَّرُ الميزانَ والمكعباتِ، وأوازِنُ دائمًا بين الحسناتِ والسيئاتِ.



وضاعت الدجاجتان

جاءَ في كتابِ "حياة الحيوان" أن الشافعِيَّ قال:

كُنَّا في أرضِ اليمنِ ، فوضَعْنا طعامَنا لنتعشَّى . وجاءَ موعدُ صلاةِ المغربِ ، فقُمْنا نُصلِّي ثم نتعشَّى . فتركْنا الطعامَ كما هو وقُمْنا إلى الصلاةِ ، وكان فيه دجاجتانِ ، فجاءَ ثعلبٌ وأخذَ إحدى الدجاجتَيْنِ وهربَ .

فلمَّا قضَيْنا الصلاةَ ، اكتشفْنا ضياعَ الدجاجةِ ، وأسِفْنا عليها . وفجأةً عادَ الثعلبُ وفي فمِهِ شيْءٌ كأنَّهُ الدجاجةُ ، وتركَهُ على بُعْدٍ مِنَّا . وأسرَعْنا إليه لنأخذَهُ ، ونحن نحسبُهُ قد أعادَ الدجاجةَ التي أخذَها .

فلمَّا قُمْنا ، جاءَ دونَ أن يراهُ أحدٌ إلى الدجاجةِ الثانيةِ ، وأخذَها من بَيْنِ الطعامِ ، واختفى .

ورجَعْنا إلى ما أعادَهُ ، فوجَدْناهُ قطعةً من الليفِ قد جعلَ شكلَها مثلَ الدجاجةِ !!



الذئب الذى احترم الصدق!!

هذه حكايةٌ عن ذئبٍ حكيمٍ ، حدثَتْ فى مساءِ يَوْمٍ لم يكُنْ يشعرُ فيه بالجوعِ . لقد قابلَ شاةً بمُفْرَدِها ، فاشتدَّ رعبُها منه . لكنَّ الذئبَ اقتربَ منها ، وقالَ بصوتٍ حاولَ أن يجعلَهُ رقيقًا : "لا تخافى أيَّتُها الشاةُ العزيزةُ .. أنتِ حُرَّةٌ فى الذهابِ إلى حيثُ تُريدينَ ، لكننى أريدُ أن أعرفَ أولاً مقدارَ حرصِكِ على قَوْلِ الصِّدْقِ : أخبرينى بأوَّلِ ثلاثِ خواطِرَ طرأتْ على ذهنِكِ عندَما فوجِئْتِ برؤيتى".

هنا تردَّدَتِ الشاةُ ، لكنها فقدَتِ الأملَ فى النجاةِ ، فقالَتْ : "إذا كنْتُ قد رأيتُكَ اليوْمَ ، فأنا لم أكنْ أتمنَّى أن أراكَ أبدًا !!"

قالَ الذئبُ وهو يكادُ يضحكُ : "هذا طريفٌ حقًّا .!! والآنَ لنستمعْ إلى ما مرَّ بَعْدَ ذلك فى خاطرِكِ ."

قالَتِ الشاةُ : "لقد تمنَّيْتُ أيضًا أن تفقدَ بصرَكَ ، فلا ترى أمثالى أبدًا ."

ثم أغمضَتْ عينَيْها ، مُتوقِّعةً أن تكونَ تلكَ هى نهايتَها . لكنَّها سَمِعَتِ الذئبَ يقولُ : "وماذا عن الشَّىْءِ الثالثِ الذى جاءَ فى خاطرِكِ ؟"

فتَحتِ الشاةُ عينَيْها ، وقالَتْ فى شجاعةِ اليائسِ : "أريدُ أن أرى نهايتَكَ ، ونهايةَ كُلِّ ذئبٍ قاتلٍ مثلِكَ !!"

وكتمَ الذئبُ غيْظَهُ وقالَ : "أنتِ صادقةٌ بِغيرِ شكٍّ ، ويُمْكِنُكِ أن تذهبى .. أنتِ حُرَّةٌ !!"

قالَتِ الشاةُ لنفسِها غَيْرَ مُصدِّقةٍ : "هل احترمَ الذئبُ الصدقَ حقًّا ، أم الأمرُ ببساطةٍ أنه اليَوْمَ غَيْرُ جائعٍ؟!"



سيسترد حقه !!

كانَ جحا ينظرُ من نافذةِ بيتِهِ ، فرأى رجلاً يقتربُ من بابِ البَيْتِ ، فقالَ لزوجتِهِ :

"لقد جاء هذا الرجلُ يُطالِبُنى بدَيْنٍ لم أدفعْهُ له ، فاذهبى إلى البابِ ، واجعليهِ ينصرفُ ."

وفتحَتِ الزوجةُ البابَ ، وقالَتْ للدائنِ : "خُذْ منِّى وَعْدًا مُؤكَّدًا أننا سنُسدِّدُ لك دَيْنَكَ فى أقربِ وقتٍ ."

قالَ الرجلُ ساخرًا : "هل تطولُ المُدَّةُ ؟!"

فكَّرَتِ المرأةُ بسرعةٍ ، ثم قرَّرَتْ أن تذكرَ ما طرأ على خاطرِها ، قالَتْ : "كلا .. فإن قطيعًا من الغنمِ بدأ يمرُّ كُلَّ يَوْمٍ من أمامِ بَيْتِنا ..



وأثناءَ مرورِهِ ، يسقطُ من الغنمِ صوفُ كثيرٌ ، نجمعُهُ ، ونغزِلُهُ ، ونصنعُ منه خيوطًا نبيعُها ، وسنُسدِّدُ لكَ دَيْنَكَ من ثمنِها ، فنحن لا نأكلُ حقوقَ الناسِ !!"

وكانَتِ الزوجةُ تتحدَّثُ بلهجةٍ جادَّةٍ ، كأنها اكتشفَتْ منجمًا من مناجمِ الذهبِ ، فانفجرَ الرجلُ ضاحكًا بعدَ أنْ كانَ غاضبًا .

وسمعَ جحا قهقهتَهُ ، فاقتربَ من البابِ ، ورفعَ صَوْتَهُ قائلاً:

"طبعًا .. لكَ كلُّ الحقِّ في أن تضحكَ ، فقد ضمنْتَ أخيرًا استردادَ حقِّكَ !!"



النافذة المختلفة

سارَ السائحون خلفَ الدليلِ ، يتأمَّلونَ نوافذَ الزجاجِ الملوَّنِ في القصرِ الأثريِّ الكبيرِ . كانَتْ أشعةُ الشمسِ تسطعُ على النوافذِ من خارجِ البناءِ ، فتنعكسُ الألوانُ على القاعاتِ الفسيحةِ داخلَ البناءِ ، فتُعطِي المكانَ جوًّا من الهدوءِ والسكينةِ والجمالِ .

وفجأةً توقَّفَ الدليلُ والزائرون أمامَ نافذةٍ ، أحسَّ الجميعُ أنها تختلفُ عن بقيَّةِ النوافذِ بروعةِ جمالِها . لم تكُنْ قِطَعُ الزجاجِ المُثبَّتةُ بجوارِ بعضِها تُعطِي شكلاً واضحًا لشخصٍ أو لشيءٍ ، لكنَّ النافذةَ كانَتْ مع ذلك تجذبُ العَيْنَ وتأسرُ النفسَ وتُثيرُ التأمُّلَ .

وأحسَّ الدليلُ بما ملأ نفوسَ الزائرينَ من إعجابٍ ، فحكَى لهم قصةَ تلك النافذةِ ، قالَ :

"عندما كانَ عشراتُ العمالِ يعملونَ في إعدادِ نوافذِ هذا القصرِ ذاتِ الزجاجِ الملوَّنِ ، وصلَ أحدُ كبارِ الفنَّانينَ ، وشاهدَ كمِّياتٍ كبيرةً من قِطَعِ الزجاجِ المُحطَّمةِ ، قد ألقاها العمالُ لأنهم لم يجدوا لها فائدةً . وخطرَتْ للفنَّانِ فكرةٌ رائعةٌ .. وامتدَّتْ يدُهُ الموهوبةُ إلى القِطَعِ الصغيرةِ المُهمَلةِ من الزجاجِ الملوَّنِ ، ليُحوِّلَها إلى نافذةٍ غايةٍ في الروعةِ والإبداعِ ."

وأنهَى الدليلُ حكايتَهُ قائلاً : "لقد استرعَتْ هذه النافذةُ أبصارَكم لأنها من خلْقِ فنّانٍ مُبدعٍ .. أما بقيّةُ النوافذِ ، فليسَتْ إلا من عملِ صُنّاعٍ ماهِرينَ !!"

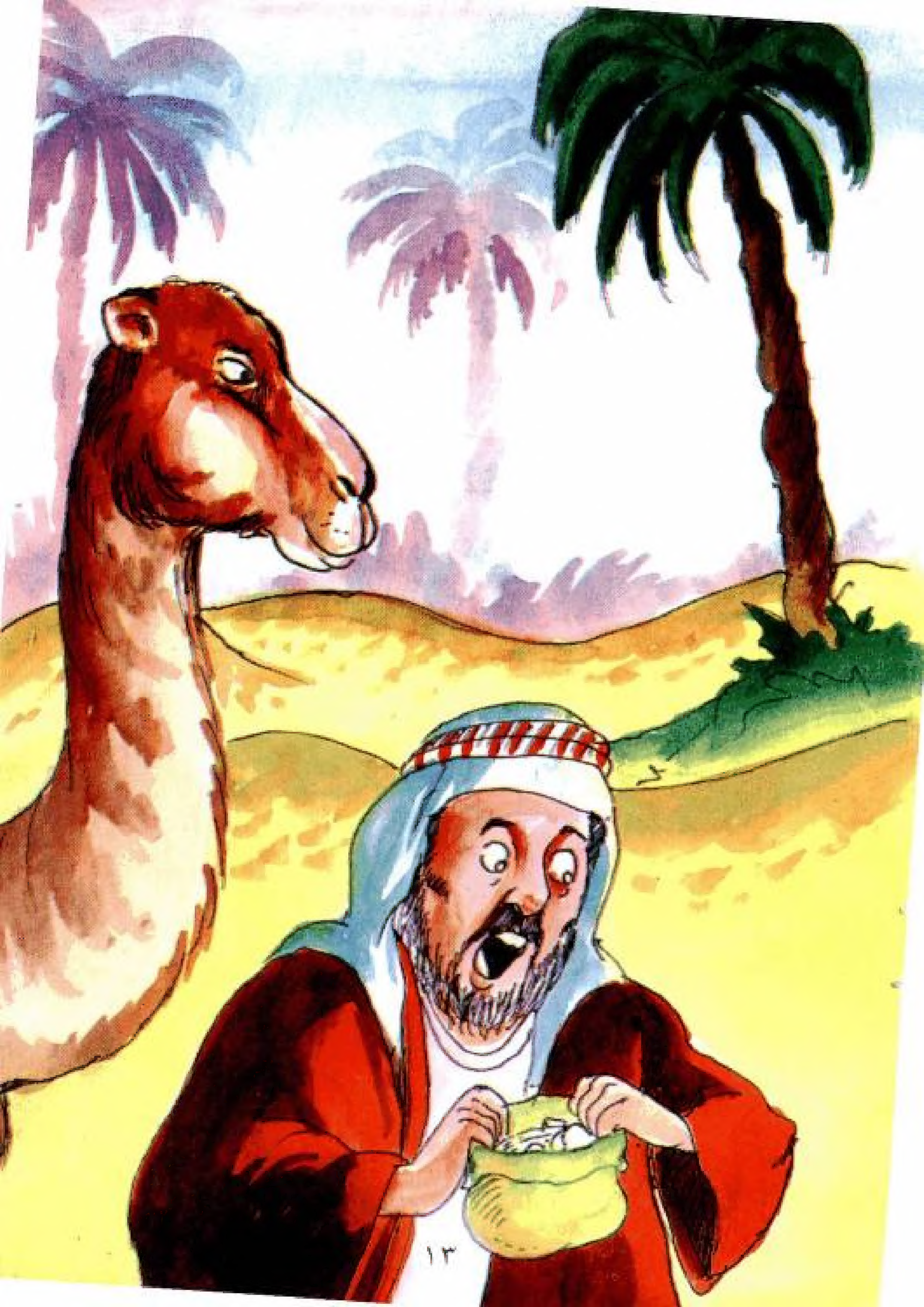


اللبن فى معدة شاة!!

منذُ زمنٍ بعيدٍ ، كانَ هناكَ أعرابىٌ يُسافِرُ فى الصحراءِ ، لا يُرافِقُهُ إلا ناقةٌ صبورٌ ، تمضغُ بغيرِ توقُّفٍ ما تجترُّهُ من طعامٍ . وكانَ مع الأعرابىِّ هو الآخرِ طعامُهُ ، فقد وضعَ بعضَ لبنِ الناقةِ فى كيسٍ صنعَهُ من معدةِ شاةٍ . وخلالَ رحلتِه ، فتحَ الكيسَ ، فاكتشفَ وجودَ قطعٍ سميكةٍ بيضاءِ اللَّوْنِ قد انفصلتْ عن اللبنِ ، أصبحْنا نُسمِّيها الآنَ "الجبن" . أما بقيةُ اللبنِ ، فقد أصبح سائلاً شِبْهَ مائىٍّ . وهكذا اكتشفَ ذلكَ الأعرابىُّ ، بطريقِ الصدفةِ ، طريقةَ صنعِ الجبنِ .

لقد كانَ هناكَ سببانِ فى تحويلِ اللَّبَنِ إلى جبنٍ : السببُ الأولُ أن الشمسَ أدفأتْ كيسَ اللبنِ خلالَ الرحلةِ . أمّا السببُ الأهمُّ ، فقد كانَ الكيسَ المصنوعَ من معدةِ الشاةِ والذى يحتوى على عصائرَ هاضمةٍ مُجفَّفةٍ . هذه العصائرُ الهاضمةُ كان من بينِها الخميرةُ التى نُسمِّيها "منفحة" اللازمةُ لصنعِ الجبنِ ، والتى لا نزالُ نستخدمُها حتى اليومِ .

أخبرَ المُسافِرُ العربىُّ أصدقاءَهُ عن اكتشافِهِ ، فنقلوه بدَوْرِهم إلى آخرينَ ، وهكذا ظلَّ الناسُ ، لمدةِ أربعةِ آلافِ سنةٍ ، وحتى أيامِنا هذه ، يصنعونَ الجُبْنَ ، بعد أن أصبحَ استخدامُهُ كطعامٍ عادةً غذائيةً انتشرَتْ بسرعةٍ فى جميعِ أنحاءِ العالمِ . وكانَ السببُ فى هذا الانتشارِ السريعِ ، أن اللبنَ يفسدُ بسرعةٍ . لكنْ عن طريقِ صناعةِ الجبنِ ، أمكنَ للناسِ أن يحتفظوا بالموادِّ الغذائيةِ النافعةِ فى اللبنِ لفتراتٍ طويلةٍ .



كم عدد النخل؟

خلالَ فتراتٍ طويلةٍ من التَّاريخِ الإسلاميِّ ، اعتادَ القُضاةُ أن يجلسوا في المساجدِ للفصلِ في الخصوماتِ .

وذاتَ مرَّةٍ ، اختلفَ جارانِ حولَ ملكيةِ حقلٍ فيه نخل ، فذهبا إلى القاضي ، وكلٌّ منهما معَهُ شهودُهُ .

سألَ القاضي الشُّهودَ : "كم عددُ النَّخلِ في ذلك الحقلِ ؟"

فلم يعرفوا ، فرفضَ سماعَ شهادتِهم .

فقالَ أحدُ الشُّهودِ للقاضي:

"منذُ ثلاثينَ سنةً ، وأنت تتخذُ مجلسَ القضاءِ في هذا المسجدِ ، فكم خشبةً في سقفِهِ ؟"

وسكتَ القاضي ، لكنَّه عرفَ أنَّ الشَّاهدَ حتى إذا لم يكنْ يعرفُ عددَ النخل ، فإنه يستطيعُ معرفةَ مَنِ الذي يملكُ حقلَ النخل.





حرية اختيار

أمَرَ أحدُ الملوكِ بقتلِ أعرابِىٍّ ، فالتمسَ الأعرابِىُّ أن يعفُوَ الملكُ عنه ، فأجابَهُ الملكُ : "لن أعفُوَ عنك .. لكن لكى تعرفَ مدى رحمتى ، سأتركُ لكَ حريةَ اختيارِ الطريقةِ التى تموتُ بها !!"

فأجابَ الأعرابِىُّ : "إذن .. اتركْنى أمُتْ من الشيخوخةِ !!"

فضحكَ الملكُ ، وخفَّفَ عقوبتَهُ !!



بعض قصص هذه المجموعة تم اختيارها وإعادة صياغتها من الأدب الشعبى والعربى القديم والعالمى